الوقفة، شهود الأُحَدية:لحظة النفري الصوفية

آمال محمد عامر [1]

كلية الآداب– جامعة مصراتة

تاريخ التقديم: 19-12-2019 ، تاريخ القبول: 01-02- 2020، نشر إلكترونيا في 03-02-2020

https://doi.org/10.36602/faj/2020.n15.03

ملخص البحث:

يتناول البحث تجربة النفري الصوفية، من خلال لحظته الصوفية الشهودية في حال الفناء، والتي عبَّر عنها في نصوصه "المواقف" فكانت الوقفة هي لحظة النفري الصوفية الشهودية، والتي تجلت من خلال البناء اللغوي، والخطابي الحواري المتفرد عند النفري عن غيره من الصوفية، حيث جاءت على شكل ومضات مكثفة في دلالتها، لتعبِّر عن حال الفناء الشهودي، والتجليات على قلب الصوفي

الكلمات المفتاحية: التجلي، الواردات، المقام

[1] Amal.amer@art.misuratau.edu.ly

ISSN 2664-1682

AL-WAQFAH, THE STATION OF DIVINE REVELATION OF THE SUFI AL- NIFFARĪ

Amal Amer
School of Arts -Misurata University

Abstract
The research deals with the experience of Al- Niffarī Sufism, through his station of the Sufi witness in the event of Fanā or (Dissolution of the Ego), which he expressed in his texts “Al-Mawāqif”, thus station or spiritual standing is the apocalyptic vision and the eschatological revelation, and the polarity of the experience of divine unity, found expression in construction of language and solely self conversational discourse, Formed intense flashes in its significance, to express the state of “Fanā” and the manifestations on the mystic heart

***Keywords**: manifestation, Warridat (Gifts and Favor), Maqaamat.*

1. المقدمة:

إن التجربة الصوفية في جوهرها هي سفر المؤمن الروحي إلى أعلى مستويات شهوده في معارج الروح، وفي تجربة النفري تتداخل التجربة والكتابة، حيث تعد الوقفة وكذلك المخاطبة وهي الوجه الآخر للوقفة، من مؤلفات النفري التي كتبها من داخل التجربة الصوفية كممارسة نصية، ومن عمق تجربته الروحية في سفره وتوقه نحو القرب من الحق تعالى. ومن خلال هذا البحث فإننا نحاول استجلاء لحظة النفري الصوفية من داخل نصوصه الوقفة والمخاطبات، لتكون قراءة حية وسفراً نحو تخوم التجليات النورانية في عالم النفري، لعلنا نلامس قبساً من تجليات معانيها، من خلال تفكيك النص، والوقوف على خصوصيته واستبصار دلالاته، ليتحقق ذلك الوصال وتنكشف حجب المعاني، عبر سفر في روحانية النص، وقراءة نستكشف فيها الذات الصوفية الصافية في توقها للمطلق، وسفرها في معارج الحب الإلهي.

ISSN 2664-1682

1. 1 مشكلة البحث وأهميتها:

تأتي إشكالية الدراسة من خصوصية النص الصوفي النفري، حتى أنه يصعب على الكثيرين الاقتراب منه، على مستوى الموضوع وخصوصية بنائه اللغوي والمضامين الصوفية. لأنها نصوص تنبثق من لحظة النفري الصوفية كما أسميها، أي لحظة الكشف الصوفي، وحال الشهود والتجليات القلبية. ويشير النفري إلى عمق الإشكالية، والتي تكمن في عجز ومحدودية اللغة أمام اتساع أفق اللحظة الصوفية الشهودية، بحمولتها الروحية، ولا محدوديتها أمام محدودية اللغة.ومن هنا حاولنا مقاربة تجربة النفري ولحظته الصوفية، حيث نتناول مفهوم وأبعاد لحظة النفري الصوفية "الشهودية" في حقلها الصوفي، وعبر مقامات سفر الحب الإلهي، ونسلط الضوء على خصوصية ودلالات مفهوم الوقفة في خطاب النفري، وعلاقتها باللحظة الصوفية الشهودية للنفري، ودلالات الفيض الروحي، وتجليات الكشف على قلب الصوفي، كما نتناول اللغة التي وظفها النفري في كتابته من داخل التجربة الذوقية، وعالم التجلي القلبي.

1. 2 أسئلة البحث

- كيف ارتبط نص النفري ولغته في الوقفة والمخاطبات، بلحظة النفري الصوفية الشهودية؟
- كيف تتماهى اللغة في مساقاتها التعبيرية وانزياحاتها عند النفري مع لحظة النفري الصوفية في حال الكشف والشهود؟
- كيف تقاطعت نصوص النفري مع القرآن الكريم والحديث القدسي عبر فاعلية الحوار المتخيَل بخصوصيته وكثافة حمولته الدلالية؟

1. 3 أهداف البحث

الوقوف على تجربة النفري من خلال لحظته الصوفية الشهودية، التي عبَّر عنها في المواقف، وجاءت في بنائها اللغوي كشذرات أو ومضات مكثفة في دلالتها ومعانيها، مما تطلب قراءة تأويلية، من أجل ملامسة معانيها.

ISSN 2664-1682

2. المنهج والإجراءات

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الاستقرائي، وذلك بتتبع لحظة النفري الصوفية "الحالة الشهودية" في النص النفري، عبر مقاربة تعتمد التفكيك والتحليل، وتتبع لغة النفري في بنائها المتفرد ومحاولتها أن تستوعب تجليات الصوفي القلبية، وإشارات الواردات الإلهية في حال الكشف.

3. الوقفة:مفهومها وخصائصها عند النفري

3. 1 الوقفة في الاصطلاح اللغوي: "من وقف، وجمعها وقفات، وقفة السائر: استراحته لحظة، والوقفة: أيضاً هي برهة، انقطاع عن مواصلة الكلام، ووقف على السر: أي عرفه أو عاينه أو أدركه وتبيَّنه" (الفيروزآبادي، 2005، ص463).

3. 1 الوقفة في الاصطلاح الصوفي:–يقول عفيف الدين التلمساني في المعنى الصوفي للوقفة: "أوقفني: أي أيقظ قابليتي لتلقي التجلي، وأوقفني: أي عرَّفني." (التلمساني،2007 ،ص114). ويرجع النفري المواقف والمخاطبات الى ما يُلقى إليه في لحظة التجلي والشهود والتخلي عن إرادته، فيكون في موقع الإنصات الكلي والتلقي، وتتلاشى "الأنا" ويبقى "هو"، وبالتالي فهو يخضع لما يتجلى له من معاني في قلبه عندما يكتب.وتعتبر الوقفة جوهر تجربة النفري الصوفية وخطابه، وفي الموقف الثامن نجد الوقفة قد خصها النفري بموقف كامل عنوانه" موقف الوقفة". والوقفة عند النفري هي وقفات أمام الله تعالى، تنطوي على حقيقة الموافقة لله، والاستجابة للحق تعالى. وبالتالي فهي المقام الأسمى في المعراج الصوفي الى الله، فالعارف غاية وقفته التي يصل إليها أن تشرق على قلبه الأنوار الإلهية، فيشعر أن وجوده صار أعلى وأسمى.

قال حسن حنفي بعد أن تسآل "ومن هو صاحب الموقف؟ هل هو الانسان، فالإنسان في موقف والانسان في العالم أم أن الله هو الذي يضع الانسان فيه ، ثم أجاب:

ISSN 2664-1682

الغالب هو الله نظرا لتكرار فعل (أوقفني) في أول كل موقف" (حنفي،2009، ص 109)

فالوقفة هي حال الفناء في الشهود، بعد أن تنقشع عتمة الأغيار ويصير السوى عدماً في قلب الصوفي، وهي منتهى ما يصل إليه العارف في سفره الروحي إلى الله، فيفنى في الحق، ويبقى بالحق تعالى. "وقال لي: الوقفة نورية تعرف القيم و تطمس الخواطر، وقال لي الوقفة وراء الليل والنهار ووراء ما فيهما من الأقدار." (النفري، 1985، ص10). ففي مقام الوقفة تتلاشى الغيرية والسوى من قلب الصوفي، ويتجاوز الصوفي بقلبه ويتعالى عن الزمان والمكان، ليتصل بالحق تعالى. ومن هنا يتكئ النفري على عبارة "أوقفني، وقال لي" وهي عبارة تؤكد المكان المجازي بوصفه حالا أو موضوعا، وفصل حنفي (2009، ص. 110) فجعل بعضها طبيعي جغرافي كوني، واستدل على ذلك بوجود موقف البحر وموقف النور والليل بحيث تصعب التفرقة بين الله والطبيعة ، وقال في الوقفة إنها تعني المنظور الإلهي ،الوقوف مع الله، الرؤية الإلهية مما يدل على أن صاحب الموقف هو الله.

وتحضر صيغة الماضي في "أوقفني، وقال لي" منفتحة على دلالة الزمان المطلق، لصورة يتجلى فيها العلو والقرب، محملة بدلالات نورانية سفر الإسراء والمعراج، ونداء الحق لسيدنا موسى. ويتجلى الطابع الإلهي للوقفة في قوله:-"وقال لي: الوقفة من الصمدية فمن كان بها كان ظاهره باطنه، وباطنه ظاهر" (النفري، 1985، ص11). وقال حنفي في صاحب الموقف "الغالب هو الله نظرا لتكرار فعل أوقفني" (حنفي،2009 ، ص 109).

والصمدية صفة إلهية مخصوصة تتعلق بالذات الإلهية وحدها. ويستشعر العارف استيلاء الوجود الإلهي هنا على كل ما عداه، وحضور الحق في كل مكان وزمان، فتتلاشى المسافات شعوريا في قلب العارف مع الحق تعالى لذلك كان زمان العارف الواقف حضور دائم وشعور بمعية الله في قلب المؤمن. ويمكن القول أنه من أهم تجليات ومقتضيات الوقفة هو الصمت الذي يصير مقام تلقي من العارف للخطاب، منطويا على دلالة عجز العبارة

ISSN 2664-1682

أمام اتساع الرؤيا، ذلك أن المخاطِب هو الحق تعالى، ومن هنا اقتضى جلاله وكماله أن يكون أحادي الجانب، من الله فقط، فالحق مخاطِب والعبد متلقي في خشوع وصمت، فالصمت هنا مقام شهود ومجال تجليات لمعان تضيق عنها العبارة. "فاذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة" (النفري،1985، ص51).ففي خطاب النفري الصوت الحاضر فقط هو صوت الحق تعالى، وهذا يحمل دلالة الخضوع من العبد السالك، كما يكشف سعي ومجاهدة الصوفي للسفر من أجل هذه اللحظة "لحظة الوقفة" الشهودية فهي غاية السالك، لحظة تسفر عن تجليات الحق على قلب الصوفي، لأن غاية السفر الصوفي هي هذا الإسفار والكشف والتجلي.

وبالتالي فبنية النص النفري في الوقفة والمخاطبة تجسد لحظة التجلي بما هي تلقي في صيغة التكثيف والرمزية في نصوصه، وهي انعكاس لعجز الحرف عن التعبير عن المطلق، وهذا التكثيف يجعل الكلمة في مقام الإشارة بوصفها برزخاً بين الإخفاء والإظهار للواردات. مما يجعل النص النفري في بنائه وصيغته منسجماً مع تجربة النفري، بل أنه التجربة ذاتها كما يعيشها من داخل اللغة.فالتجربة الصوفية تجربة شعور وذوق، ومذهب النفري جوهره أن ترى وتشاهد لا أن تعرف أو تعلم، فالصوفي في مقام أعلى من اللغة، إنه مقام الشهود والنور ومجاله الصمت، "وقال لي: الحرف يعجز عن أن يخبر عن نفسه فكيف يخبر عن" (النفري،1985، ص61). فاللغة ترجع إلى السوى أي ما سوى الله، ولا سبيل لها إلى الحق ولا الإخبار عنه، فالحق تعالى مباين للمحسوسات والمعقولات التي تخبر عنها اللغة. ولذلك فالحرف والسوى عند النفري وجهان لحقيقة واحدة. "فالسوى كله حرف، والحرف كله سوى." (النفري، 1985، ص91). ومن هنا كان الحرف عند النفري حجاب. "وقال لي: الحرف حجاب، وكلية الحرف حجاب، وفرعية الحرف حجاب، وقال لي لا يعرفني الحرف، ولاما في الحرف، ولا ما من الحرف ولا ما يدل عليه الحرف" (النفري،1985 ،ص92). وكما أن الحرف لا يمكنه أن يخبر عن الحق تعالى، كذلك أهل الحضرة والشهود لايمكن للحرف أن يخبرعن الواردات في شهودهم.وشرط الرؤية هوالخروج

ISSN 2664-1682

من اللغة والأشياء كلها. "وقال لي لاتقف في رؤيتي حتى تخرج من الحرف والمحروف" (النفري،1985 ،ص36). وهنا تتجلى حقيقة أن كل موجود هو سوى ولا وجود حقيقي له، وأن الوجود الحق هو الله وحده، كما يتجلى لنا أن تجربة النفري هي تجربة ذوقية كشفية أفقها الفناء والوقفة في حضرة الشهود، ومنهجها الذوق.

4. الوقفة: الفناء عن إرادة السوي..شهودالأحدية

يأتي أسلوب النفري متفرداً ثرياً بالدلالات العالية علو التجربة في سموها وروحانيتها وتفرده مختلف عن الموروث الصوفي، حيث تتشكل نصوصه في المواقف والمخاطبات في صيغة حوارية بين المطلق "الإلهي" والصوفي، وبالتالي فهو نص ينبثق وينتمي إلى لحظة الفناء الممتدة في سدرة منتهى الشهود، لذلك كان أسلوبه متفردا ولغته مكثفة.إذ أن منطلق النفري هو حالة الحب الإلهي التي تعني الوصل الذي لا ينقطع مع الحق تعالى، والاتصال النوراني وصلاة القلب المتجددة، وصولاً لشهود قلبي بالحق تعالى، وبفعل هذا الحب يحرر الصوفي نفسه وروحه من التعلق بشواغل المادة ويحقق ارتقاءه نحو الحرية ليكون روحاً حرة تسافر إلى بارئها حباً وشوقاً، فيتحقق بأعلى مستويات الحرية من خلال عبوديته للخالق.

فقطع التعلق بالعالم المادي أو السوى أو الغيرية هو أساس حرية الصوفي، ودعامة الحب الإلهي، ومنطلق السفر في مقامات الحب والقرب، ليتحقق بمعنى الخطاب الرباني "إن إلى ربك الرجعى" (سورة العلق، 8)، فالرجوع أو العودة إلى الحق تعالى يتحقق به الصوفي دنيوياً بقطع التعلق بالدنيا "السوى" عبر سفره الروحي في مقامات الحب الإلهي. ولذلك يجاهد الصوفي نفسه في رحلة المجاهدة من أجل قطع العلائق، وفك التعلق بما هو مادي، فيموت قبل أن يموت ليتحقق بالحياة الحقيقية لروحه وجوهره السامي. فقطع التعلق بالدنيا يحقق الحياة للروح ويأخذها في سفر الصوفي إلى أعلى مستويات الوعي عبر سفر الحب أو الوجد الذي يجعل من الحب والوجود وجوداً حقيقياً وحياة، فيتحقق بالأنس بالله والطمأنينة والسكينة للروح.

ISSN 2664-1682

فالحب للحق عند الصوفي يفضي إلى الكشف والتجلي. "يا عبد من رآني عرفني وإلا فلا ،من عرفني صبر علي وإلا فلا "(النفري،1985 ، ص181). فالحق يُعرف بشهود القلب، والمحسوسات حجاب يحول دون عروج العبد بروحه إلى مقامها الأعلى، ولذلك يشير النفري إلى حجاب المشاغل الدنيوية الحسية في قوله: "يا عبد إذا لم تربي تخطَّفكَ كل ما ترى" (النفري،1985 ،ص181). فالمشاغل الدنيوية تتجاذب الإنسان وتشغله، فتكون حياته موتاً وانطفاء للروح إذا لم يدرك حقيقة جوهره السامي، ويتحرر من تعلقه بما هو مادي ويفنى عنه، فيرى الله في كل شيء، فإذا لم يرى الله كانت أفعاله بلا روح ولا جدوى. "يا عبد من لم يرني فلا علمه نفع ولا جهله ارتفع" (النفري، 1985، ص211).فالحق ما خلقنا إلا لأجل معرفته ومحبته. "يا عبد أظهرتكَ لي وحدي" (النفري،1985 ،ص158). وهذا اصطفاء من الله تعالى للإنسان منذ كان في عالم الذر، ومن هنا يؤكد النفري على العلاقة الحميمة الوثيقة بين العبد وربه، ومحبة الله السابقة على محبة عبده له، وأن مولاه هو الذي أراده قبل أن يريد هو. "يا عبد أثنيتُ عليكَ قبل خلقكَ، فاثنيتَ عليَّ حين خلقكَ، وأقبلتُ عليكَ قبل كونكَ، فأقبلتَ عليَّ حين كونكَ، فكن لي بما كان منّي" (النفري، 1985، 178). فما خُلق الإنسان ليكون في حال الحجاب، بل ليكون في مقام القرب والحضرة والأنس بالحق تعالى، ومن هنا كان تأكيد النفري على اعتبار السوى حجاباً يحول دون القرب والشهود والمكاشفة. وكانت الوقفة منتهى سفرا لحب للصوفي، وسدرة منتهى شهوده، وغاية سفره إلى الله، فهي مقام أعلى من المعرفة، يتحقق فيها بيقين المشاهدة القلبية. وقال لي: "الوقفة تعيُّن سرمدي لا ظنَّ فيه" (النفري،1985 ،ص15)، فهي شهود العارف في الحضرة الإلهية. "وقال لي: والواقف يُخبر عنّي، وفيَّ وقفته" (النفري،1985 ،ص16).

ففي الوقفة حيث تتلاشى هوية العارف الذاتية، وتنمحي عنده كل غيرية، يفنى كل ما سوى الله في قلبه ويتحقق شهوده، ولذلك يصف النفري الوقفة بأنها: "باب الرؤية" (النفري،1985 ،ص18). فهي غاية الصوفي حيث يتحقق بالشهود في الحضرة الإلهية،

ISSN 2664-1682

فالوقفة للصوفي تنفتح على الحضرة، التي تنفتح بدورها على اللحظة الصوفية وأفق الديمومة، حيث لا شيء سوى الله، ويصبح قلب الصوفي مرآة للتجليات الإلهية. ومن هنا يرى الصوفي في السوى حجاباً، والتعلق به عبودية ونوعاً من الرق، وهذا يعكس توق الصوفي إلى تجاوز المادي ونزوعه إلى الحرية، حيث تسمو الروح، ويتجاوز التضاد بين المادي والروحي. "يا عبد: الروح والرؤيا إلفان مؤتلفان" (النفري،1985 ،ص213). فالسمو بالروح يرتبط بالوقفة والرؤيا، والرؤيا بدورها ترتبط بالحضور والوصل وتجاوز الغيبة أي السوى، فالغيبة حجاب الصوفي، بل أن النفري يصفها بأنها سجن المؤمن، "وقال لي: إن رأيت غيري لم ترني" (النفري،1985 ،ص232). فكل ما هو سوى يعتبره النفري حجاباً يحول دون الوصول والقرب من الحق تعالى. فمن خلال الرؤيا يتحقق الصوفي بالتحرر من عبودية التعلق بالمادي ومن سطوة الدنيا، ويفوز بالقرب من الحق عندما يتخلص من حجاب وأسر السوى. "والكون كله سواي" (النفري،1985 ،ص22). ويمكن القول أن النفري يقوم تصوفه على الفناء عن شهود السوى، ويتأسس عنده على فناء الصوفي عن إرادته وأفعاله، وبقائه بأفعال الله وإرادته ، فيفنى الصوفي عن رؤية أفعال، كما يقوم تصوفه أيضا على فناء الصوفي عن شهود السوى أو الأغيار وبقائه بالله وحده. فلا يتعلق الصوفي السالك إلا بالله وحده، ولا ينظر أيضا إلى ما يقدم من حسنات و صالحات، لأنه يراها من جهة أنها هداية وإلهام من الله تعالى لعبده، فيحضر قلبه مع الله وحده.

وفي فناء العبد عن شهود السوى يبقى بالحق تعالى ويفنى عن إنيته وعن كل شيء فهي تصير محوا عنده. وحال الفناء عن شهود السوى باعتباره أعلى درجات الفناء يسميه النفري بالوقفة، والفاني بالواقف أي الفاني في الحضرة الإلهية، منفصلاً عن السوى. "وقال لي ليس في الوقفة ثبت ولا قول ولا فعل ولا علم ولا جهل" (النفري،1985 ،ص24). ولأن الوقفة تمحو الصور وفيها تفنى الرسوم، فلا يكون فيها قول ولا فعل ولا علوم، لأن كل ذلك صور. والصوفي في مقام الوقفة يكون خارج عنها كلها، لأنه في حال الفناء عن السوي، حيث يكون الحق تعالى سمع العبد وبصره.فالصوفي الفاني لا يشهد وجوداً غير الله

ISSN 2664-1682

وحده، والسوى عنده يكون هو العدم. "أوقفني في الموت، فرأيت كل شيء لا يقدر على شيء، ورأيت الملك غروراً، ورأيت الملكوت خداعاً، فما نفعني إلا رحمة ربي" (النفري،1985 ،ص35). ويعني النفري بالموت هنا أي فقده إنية وجوده في حال شهوده الفناء، فيفنى إحساسه بإنية وجوده في وجود الله تعالى، ويفنى المحب في ذات المحبوب، والشاهد في المشهود، ولا يبقى إلا المحبوب المشهود، لأن الفاني في حضرة مشهوده يرى نفسه عدماً. فيفنى عن شهوده لاستغراقه في شهوده وذكره للحق. فالوقفة عند النفري هي قطع تعلق الصوفي بالسوى وصولاً إلى إماتة الصوفي عن السوى، وفناؤه في الله تعالى وبقاؤه به، وفناؤه هنا محو في حضور مشهوده الحق تعالى.ففي حضرة الذات الأحدية، لا يشهد الصوفي إلا الأحدية بفنائه عن نفسه وعن الوجود. ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى، وهذا هو حال الفناء في التوحيد عند النفري، حيث لا يشهد الصوفي إلا الله، ويضمحل احساسه بالوجود وبذاته، فيفنى عن الكون بالخالق أو المكِّون، فيبقى الله تعالى في شهوده وتفنى الموجودات. حيث لا مشهود إلا الله، ولا موجود إلا الله تعالى، وهذا جوهر التوحيد، أن يكون العارف متحققا بالفناء بشهود الأحدية. وعندما يعود الصوفي من حال المحو والجمع في فنائه إلى حال الصحو والفرق، فهو يشهد الكائنات والموجودات مع شهوده لأحادية الحق تعالى، أي أنه يشاهد أحادية الله في كل الموجودات.

فالنفري ينطلق من مبدأ التنزيه، ويثبت الإثنينية بين الله والعالم، ولا يقول باتحاد أو حلول، ولذلك في حال الفناء يقول أن بعدها يكون حال الصحو والفرق بعد المحو في الفناء الشهودي. ومن منطلق التنزيه أيضا لا يقول بأن الواقف عرف الحق تعالى. "وقال لي ما عرفني شيء، فإن كاد أن يعرفني فالواقف" (النفري،1985 ،ص28). فالواقف يظل في حدود بشريته ولذلك يقول النفري" كاد يعرفني"، وكل ماعدا الله تعالى لا يمكنه أن يحيط بالله كحقيقة مطلقة عليا، والذات الإلهية حقيقة لا تدركها العقول، ولا تشاهدها الأبصار. وبالتالي فالواقف مهما تحقق بسمو الروح، والتجليات لكنه لا يخرج عن بشريته. "وقال لي ما أنا في شيء، ولا خالطتُ شيئا، ولا حللتُ في شيء، أنا، أحد فرد صمد وحدي،

ISSN 2664-1682

وحدي أظهرتُ ولا مُظهِر إلا أنا" (النفري،1985 ،ص83). والنفري يؤكد في خطابه على الإثنينية بين الله والعبد وعلى التمايز بين حقيقتين، الله تعالى والعبد، الخالق القادر الغني القاهر والمخلوق العاجز المفتقر إلى الحق. "يا عبد أنا العزيز القادر، وأنت الذليل العاجز، يا عبد أنا الغني القاهر، وأنت الفقير الخاسر" (النفري،1985 ،ص163)، وخطاب النفري يبقى خطاب تخيلي في الوقفة والمخاطبات، منبثق عن تصور قلبي ومعرفي لمستوى أوحال من حالات السفر الروحي، والفناء الشهودي.

إن وحدة الشهود عند النفري بأن لا تشهد سوى الله تعالى تتأسس على التنزيه للحق تعالى في مرتبة الأحدية،وهي كنه الذات الإلهية التي لاسبيل إلى معرفتها."وقال لي:القرب الذي تعرفه مسافة، والبعد الذي تعرفه مسافة،وأنا القريب البعيد بلا مسافة" (النفري،1985، ص234). فلا سبيل إلى معرفة جوهر الذات الإلهية "غيب الغيوب" إنما يُعرف الله بتجليات أسمائه."وقال لي سل كل شيء عني،ولا تسألني عني" (النفري،1985 ،ص258) فكل الموجودات تنطق بوجوده تعالى، وتنطق بالدلالة على إبداعه وخلقه لها، فكل شيء هو مظهر من مظاهر تجليات الذات الإلهية. ولذلك إثر خطابه بصيغة المتكلم، يتبعه النفري بعبارات تتضمن تقرير لحقيقة التنزيه، وأن الله تعالى ليس في شيء، ولا حلّ في شيء، واستدعاء لمعنى الآية الكريمة في خطاب النفري "ليس كمثله شيء" (الشورى، 11). "وترى النار تقول: ليس كمثله شيء، وترى الجنة تقول: ليس كمثله شيء، وترى كل شيء يقول: ليس كمثله شيء" (النفري،1985 ،ص231).

ينطلق النفري من مبدأ التنزيه، فهو يرى أن المسافة التي تفصل السوى أو المجسد عن الله هي سرمدية، ولهذا يؤكد في خطابه بشكل متكرر أن المحسوسات أو السوى حجاب ما بينه وبين الله، وأن الرؤيا لا تتحقق إلا بالمحو عن المادي أو السوى. "وقال لي: إن لقيتني وبيني وبينك شيء مما بدا، فلست مني ولا أنا منك" (النفري،1985

ISSN 2664-1682

،ص211). أي إذا بقي فيك شيء من تعلق بالسوى فلن تتحقق بالوقفة ولا بالشهود، فلا وصل ولا اتصال مع الحق مع تعلق بالسوى.

فالشهود والسوى لا يلتقيان، كما أن عبودية المادة وسمو الروح ونزوعها إلى الحق تعالى لا يلتقيان. "يا عبد من صبر عن سواي أبصر نعمتي، وإلا فلا" (النفري،1985 ،ص212)، "يا عبد: المفازة كل ماسواي" (النفري،1985 ،ص137). ولذلك يرى النفري في السوى والتعلق به مفازة وتيهاً، من تركه فاز بالوصول، ومن اغتنى بالله وحده فاز و وصل، ومن اغتنى بما سوى الله تاه وافتقر.ويمكن القول أن لحظة النفري الصوفية "الشهودية" تتجلى عبر ومضات أو شذرات مكثفة كأفق مفتوح على معان ودلالات متجددة، ومن خلال خصوصية بنائه اللغوي في مساقاته التعبيرية، ويتضح أن لحظته التعبيرية تأتي من داخل لحظته الصوفية الشهودية، ومكابدة في سفر المقامات، لكن النفري يظل يرى بأنها لحظة وتجربة تتعالى على اللغة والحرف الذي لا يتسع لتجليات أنوارها و روحانيتها، مما جعلها تأتي في عمقها الدلالي وإشاراتها المترعة بأنوار الكشف والتجليات، تضمر أكثر مما تفصح، وتستعصي على الشرح والكشف، لمحدودية اللغة أمام اتساع التجربة.

5. مستويات الإتصال عند النفري:-

يبني النفري تصوره لمستويات الاتصال بالحقيقة المطلقة، ويذهب أنها ثلاثة مستويات، هي: العلم والمعرفة والرؤية، أعلاها الرؤيا أو الوقفة، أم العلم فهو مرتبة عبور إلى المعرفة، والمعرفة مرتبة عبور إلى الرؤيا، لأن العلم والمعرفة مستويان للصوفي السالك الذي لم يكتمل سفره إلى الحق، بينما الوقفة أو الرؤيا هي منتهى الشهود، حيث يفنى الصوفي عن السوي وتتصل الروح بمصدرها الأعلى. "وقال لي: الوقفة روح المعرفة، والمعرفة روح العلم، وقال لي: الوقفة عمود المعرفة، والمعرفة عمود العلم " (النفري،1985، ص26). فكل مرتبة في سفر السالك هي تمهيد لما بعدها، وكل مستوى له اتصال بالآخر، "وقال لي: كل

ISSN 2664-1682

واقف عارف، وما كل عارف واقف" (النفري،1985 ،ص29). فالوقفة حضرة وشهود تتعالى على البعد والمكان والزمان. "وقال لي: العلم حجابي، والمعرفة خطابي، والوقفة حضرتي" (النفري،1985، ص127). فالبعد عن الله مقر العالم أو الموجودات حيث تأخذ المخلوق وتدله على الخالق تعالى، والقرب من الله مقر ومقام العارف، فالمعرفة استبصار من خلال حدسه، أما الواقف فمقره حضرة الله، فهي مقام اليقين ومنتهى الشهود، فالوقفة رؤية بالبصيرة. فالرؤية عند النفري هي المعرفة الكاملة، التي يعتبرها أعلى مستوى للاتصال بالحقيقة.وهذا النزوع الروحي عند النفري إلى تجاوز الغيرية وعالم الأضداد المادي، يعكس توقاً روحياً لا تشبعه المادة، لأنه توق إلى الأسمى، لذلك فهو يبتغي تجاوز كل علم ومعرفة وصولاً إلى الحقيقة المطلقة. ولذلك فهو يرى أن الواقف في مرتبة أسمى من العارف، لأن الواقف متصل بالحقيقة العليا، الحق تعالى، فالواقف الموصول بالحق تنفتح الوقفة عنده على الرؤيا أو الحضرة – الشهود- "وقال لي: يا عبد من رآني عرفني، وإلا فلا" (النفري،1985 ،ص36). وبما أن الوقفة تتحقق للصوفي بانعتاقه من السوى، أو التعلق بالمشاغل الدنيوية وسطوة المادي، لذلك فالوقفة للصوفي هي أفق الحرية، واللحظة السرمدية في قلب الصوفي، حيث ينمحي عنده الزمان والمكان. "وقال لي: العالم في الرق، والواقف حر" (النفري، 1985، ص35). ويذهب النفري إلى أن كل واقف ينطوي على عارف، انطلاقاً من أن التجربة الذوقية في جوهرها ومقاماتها ماهي إلا سفر متصل لتحقيق القرب. ومن هنا كان ترتيب النفري لمستويات الاتصال تصاعدياً حتى يصل إلى ذروة الفناء حيث الوقفة والشهود الذي يتجاوز المستوى الدنيوي للمعرفة. وطلب العارف كما يرى النفري أن يكون وقفا على الله تعالى، فلا يطلب سواه، فيتوجه إلى الحق بكليته مجردا من الأغراض، فهو لا يشغله إلا الله، والقرب منه، والبقاء به، والإعراض عن كل ما سواه.فالعلم كما يذهب النفري حدوده عند إدراك الجزئيات والأشياء وقوانينها وهو يدلنا على الخالق من خلال البحث في الكون والموجودات، فالحق تعالى يظهر في المظاهر دون أن تحصره ويتجلى بصفاته وأسمائه اللامتناهية، وهذا مستوى ودرجة من درجات الاتصال بالحق الكلي، لكنه مرتبة عبور.

ISSN 2664-1682

"وقال لي: أنا القريب الذي لا يحسه العلم، وأنا البعيد الطي لا يدركه العلم" (النفري،1985، ص72). ويفضي بنا نحو مستوى ومرحلة أعلى هي المعرفة التي تبحث في الكليات، وتأخذنا إلى الحقائق الكلية، فهي كما يرى النفري مقام أسمى من العلم، ثم تأتي مرحلة مجاهدة النفس وقطع التعلق بالدنيوي، والخروج كما يشير النفري من الحرف والعلوم والمشاغل، للوصول إلى الوقفة والحضرة مع الله تعالى، فيكون بقلبه وجوارحه في معية الله.والقلب أداة المعرفة الإلهية ومنهجها الكشف، فالقلب الوسيلة الأسمى التي توصل إلى الوقفة. "يا عبد سد باب قلبك الذي يدخل منه سواي، لأن قلبك بيتي، يا عبد بيتك مني في الآخرة، كقلبك مني في الدنيا" (النفري،1985 ،ص32). والعارف كما يشير النفري: "فنى عن بعض رسومه، وبقي بالبعض الآخر" (النفري،1985، ص34)، فهو متعلق بالحق لما وصل إليه في شهوده ومحوه، ومع الخلق في صحوه لما بقي فيه من رسمه، فالصوفي يكون بربه عندما يتجاوز السوى، ويفنى السوى عنده.

6. هاجس القرب وتجليات المعنى عند النفري:-

يسيطر قلق المسافة أو هاجس القرب على خطاب النفري، فيتجلى لنا خطاباً حوارياً تظهر فيه حرارة التجربة، وتجاوز الصوفي للسوى والمسافة التي تشكِّل عند النفري هاجساً، وباعثاً على تجاوز الرغبات، واستكشاف واستبصار داخل الذات وجوهرها النوراني الروحي، في أعلى مراحل السفر الروحي، وهو مقام القرب أو عين الجمع. فالواردات أو التجليات على قلب الصوفي في مقام الوقفة، يعتبرها الصوفي فضلاً إلهياً من الله تعالى، وعبر الممارسة الخطابية للتجربة، يحاول النفري استكناه تجليات المعنى، ليتحقق بفهم الذات والسفر فيها من خلال الاتصال بالله تعالى.وانطلاقا من هاجس الشوق أو التواصلي في عمق الذات الصوفية، يمارس النفري الكتابة من خلال استحضاره للمعنى اللغوي للكتابة باعتبارها "الجمع" (ابن منظور،1997 ،ص324)، فيعيد صياغة مفهوم الكتابة، بتوجيه الجمع تجاه تجربته الذوقية بما تنطوي عليه من دلالات ومعاني التجلي والشهود، ومن هنا

ISSN 2664-1682

تكتسب الكتابة أفقاً متسعاً ولا تكون محدودة بقوالب جامدة، فيكتسي الجمع والتوحد معنى خاصاً في بعده الصوفي الذوقي، انطلاقاً من هاجس الصوفية والنفري الأساسي، وهو هاجس المسافة، والتحقق بالقرب عبر تجاوز هذه المسافة من خلال تجربتهم الذوقية، فالسالك غايته من سفره الروحي تحقق القرب وعلى ذلك تصبح الكتابة اقتراباً بتوجهها للغة، وانضمام المعنى للمعنى في نسيج خطاب النفري، ويفترق من جهة أخرى لاختلاف الدلالة في موقف الشهود.

وبالتالي ينقل النفري الضم إلى سياق التجربة الصوفية، ويجعلها تتضمن دلالة ترتبط بالحضرة والشهود للوقفة والمخاطبات، فيصبح جمعاً وضماً روحياً صوفياً، يتأسس على التجاوز للمعنى المألوف الذي يصبح وكأنه سوى يتم تجاوزه، كما يتأسس هذا الجمع الصوفي على تلاشي المسافة شعورياً بين السالك ومحبوبه، هو ذاته التلاشي الذي يعيشه الصوفي في سفره في معراجه الروحي. فهو سفر يتأسس على التوق إلى القرب الذي يقوم على التحلي، بينما يقوم البعد على التخلي، مما يجعل الصوفي في تحول مستمر، ويتجلى ذلك في كتابة التجربة باعتبارها مقاما في سفر الصوفي، حيث كان هاجس الكتابة في أفق الرؤيا والشهود هاجس النفري، كما هو هاجس القرب في سفره الروحي، ومن هناك كانت الوشائج بينهما لا تنفصل، لذلك نجد النفري يعمل على تأصيل الكتابة في تجربته الذوقية، التي يبدو فيها الحرف ستاراً وحجاباً لمعان تتوالد، ودلالات تتجلى، مما يستدعي أن تقوم القراءة على معطيات تأويلية، من أجل ملامسة مواجيد الصوفي في شوقها للقرب من الحق تعالى "المحبوب".فالوقفة لا تعني التوقف، وإنما هي وصل القلب الصوفي واتصاله في لحظة شهوده بالحي الذي لا يموت الله تعالى، فيراه السالك أقرب إليه من نفسه "من حبل الوريد". "وقال لي: بيتك هو طريقكَ، بيتك هو حشرك، أنظر كيف تراه كذا ترى ما سواه" (النفري،1985 ،ص321). إنه قلب المؤمن السالك، البيت الذي وسع الحق تعالى، فكان معموراً بنوره، وهو ذات القلب الذي إذا غطاه حجاب الغفلة يصير قبراً، هو القلب فيه حشر وقيامة المؤمن، ووصله مع ربه تعالى، هو قلب المؤمن يتلألئ بأنوار التوحيد

ISSN 2664-1682

حباً وشوقاً لله تعالى، ومرآة التجليات في مقام القرب.ومن هنا تجلى خطاب النفري في صيغة التلقي والسماع "وقال لي، يا عبد.."، فالصوفي متلقي في مقام الشهود والحضرة، بعد أن تحقق بإخلاء القلب عن السوى، وطهر مرآة القلب، ليكون في حال الشهود والتلقي والتهيؤ، مما جعل الخطاب تجلياً لهذا السفر بما فيه من فناء وبقاء، وهذا ما يعكسه البناء الخطابي للنفري. ويمكن القول أن رهان القرب عند النفري كان باعثاً له على تشكُّل الكتابة كمقام في مقامات السفر الروحي الصوفي، فتكون هي ذاتها سفراً صوفيا. فالكتابة من داخل التجربة تنفتح على خصوصية اللغة ،والتي تتشكل من داخل التجربة ذاتها بحمولاتها وتكثيفها. فالنص عند النفري يرتبط بالمطلق، ويتولد عن واردات في حال الصوفي، لكنها تظل عند النفري أضيق من أن تتسع لتجلياته التي ترتبط باللانهائي والمستمر.

وبالتالي تتأسس الكتابة من داخل التجربة على حمولات الدلالة اللغوية في التجلي للمعنى والإظهار والإخفاء في برزخية الكلمة والدلالة، وتجليات المعاني التي تعكس حال الشهود بما تنطوي عليه من تجليات، وهذا أيضاً ما تعكسه الكلمة في الفصل والتجاوز لمعناها اللغوي، وفي تجليات دلالاتها المتجددة، وانفتاحها على التأويل. ففي النص النفري تتجلى عناصر اللغة باعتبارها ضماً لمعنى وحمولات تحيل على الوصل والقرب بين الحق تعالى والصوفي في سفره الروحي، وتعكس عمق هذا القرب عبر الكتابة. ولذلك تتجلى الضمائر "المخاطب والمتكلم" بشكل مكثف عند النفري، وتبدو مشحونة بدلالة الشهود والتجلي. "يا عبد مال ملك خلقتُك، ولا لملكوت بنيتُكَ، ولا لعلم صنعتُكَ، ولا لغيري أردتُكَ" (النفري،1985 ،ص178). فهذا الجمع الذي ينطوي عليه نص النفري، يتأسس على التخلي والانفصال عن السوى، والتوق إلى الاتصال، وهو ما تعكسه الوقفة والمخاطبات، ويؤكد عليه النفري من خلال ممارسة الكتابة من داخل التجربة. فالنفري يجعل الوقفة والمخاطبات تحمل ثنائية المحو والوصل، وأيضا رهان القرب والحرص على غياب الفصل، فيثري الأفق الدلالي للكلمة بإضافة معاني تحمل دلالة الوصل والاتصال وتجاوز الانفصال الذي يحيل إليه السوى. والضمير الذي يتكئ عليه النفري، يرتبط بتجربة روحية للذات،

ISSN 2664-1682

حيث تتلاشى الذات في حال فنائها، وهو ما يعكسه ضمير المتكلم والمخاطب، والذي يحيل أيضا على تجاوز الفصل وإرساء الوصل أو القرب، وهو ما ينعكس في حضور الضمير الذي تأسس عليه نص الوقفة والمخاطبات عبر بناء حواري مُتخيَل، وكلما ارتقى السالك في عروجه الروحي كلما تصاعد البناء النصي في تكثيفه، وكأنه مرآة تعكس السفر والتجلي من معراج ومقام إلى آخر أعلى وأسمى، الخطاب عبر إشارات أو ومضات خاطفة تعكس ملامسة قلب السالك إلى مالا يتسع له الحرف. فمالا يُقال بالوسائل التقليدية "التصريح"، يُقال تجلياً أو شهوداً، وهو مشروط بشهود مالا ينقال حين يشهد قلب الصوفي مالا تتسع له العبارة.فالضمير في النص يحيل على المطلق، الحق تعالى، فيعكس حالة الوصل الشهودي الذوقي ما بين الصوفي المحب ومحبوبه الحق، في بناء خطابي يتجاوز الحُجب، ويجعل من الضمير مرآة للكشف والتجليات. ويعكس سفر الصوفي الروحي الذي منطلقه الشوق والتوق إلى الفناء عن النفس للبقاء بالمحبوب الحق تعالى، فيقوم بالتالي على انفصال واتصال، انفصال عن السوى واتصال بالله يجعل السالك يرى نفسه بالحق، فيكون الله تعالى مرآة لرؤية السالك لنفسه. وبالتالي يأتي البناء النصي للنفري باعتباره أفقاً للشهود والحضرة،كما يأتي الضمير تجسيداً لمقام الحضرة. ومن هنا كان المعراج سفراً في المقامات، وأيضاً في معاني النص. "يا عبد إنما أظهرتُكَ لعبادتي، فإن كشفت عن سدولك فلمحادثتي، وإن أقبلتُ عليك فلمجالستي" (النفري،1985، ص49). فالحق تعالى خلق العباد لأجل عبادته. وتوحيده والسفر إليه بالمجاهدة والترقي في مقامات الحب. "يا عبد إنني اصطفيتُ قلبكَ لنفسي" (النفري،1985 ،ص238). ويظهر هنا استدعاء النفري لمعنى الحديث القدسي "ما وسعتني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن" (السخاوي،1375 هـ،ص228)، فقلب العبد المحب وسع تجليات الرحمن وأنواره، فهو مجلى التجلي، وموطن الحب للحق تعالى، اصطفى الله هذا القلب المؤمن ليتحقق للإنسان بالعزة والسمو والتحرر من استلاب المادة واستعبادها. "تسمع خطابي لكَ من قلبكَ وهو منّي، تراكَ وأنا أقرب إليكَ من رؤيتكَ" (النفري،1985 ،ص276)، ويتجلى هنا الإبدال

ISSN 2664-1682

بالضمير في "تراك" فلم يقل "ترى نفسكَ"، بل ابدلها بالضمير "الكاف"، وكأن الضمير الكاف هنا يتجلى كمقام، ليسكن قلب السالك في رحمة محبوبه وخالقه. ففي مرآة قلبه يرى الحق، ولأن قرب الحق تعالى يملأ قلبه و يمتلئ به فلا يرى نفسه، لأنه لا يرى سوى الحق."وقال لي: أنت معنى الكون كله" (النفري،1985، ص189). وهنا إبدال بالضمير "أنت"، ولم يقل الإنسان، فضمير الخطاب "أنت" هنا يصبح مقاماً في رحاب الحق، وأفق الشهود، لأن الضمير أنت في هذا السياق النصي تنطوي على معنى الحميمية القرب، فيتجلى المعنى حيث "يكون" الصوفي، ويصير قلبه كوناً يتجلى فيه النور والمعنى، لأنه قلب تجلى فيه الحق نوراً، فتجلى للصوفي معناه بما هو فيه وبه من شهود وواردات.ويظهر في نصوص النفري أنها تتقاطع مع القرآن الكريم والحديث القدسي، من خلال فاعلية الحوار المتخيَل، وأسلوبية الخطاب، قال حنفي "والمواقف تعبر عن المقامات والأحوال جملة ، دون تفصيل لها بأسلوب شخصي بضمير المتكلم المفرد ما يدل على أنها تجارب روحية ذاتية" (حنفي،2009 ، ص 112).

يمكن القول أن الوقفة يتجلى فيها القلب كوناً تنعكس على مرآته التجليات للمعنى، بما أنه في حال الوصل مع الحق الذي في حقيقته صلاة واتصال مع من به يكون، فتأتي الوقفة في معناها وتجلياتها ضداً على الثبوت والجمود الذي هو موت وانطفاء، بينما القلب المؤمن هو في حال حضور مع الحضرة الإلهية، وبالتجلي المتجدد الذي به الحياة والولادات للمعنى. فالوقفة بالتالي حضور ممتليء، ووصل واتصال، حيث يتوارى حجاب الغيرية والسوى والغفلة.ومن خلال الوقفة والمخاطبات يعكس النفري نصاً من داخل التجربة الذوقية، كما يعكس توق الصوفي وقلق المسافة عبر صيغة متكلم، ومخاطَب، وتجليات للمعنى، ولذلك كانت المواقف بمثابة ثمرة للشهود، والوصول إلى مقام القرب، فخطاب النفري هو خطاب الوقفة والتجليات، شاهد على شهود السالك لله بيقين القلب في عروجه إلى الله. ولأن الوقفة عند النفري هي أعلى من المعرفة، لذلك يعتبر خطابه في الوقفة هو خطاب ما فوق المعرفة، وهي مرتبة للكشف تتحقق للسالك بقطع السوى.

ISSN 2664-1682

"وقال لي أليس إرسالي إليك العلوم من جهة قلبك، إخراجا لك من العموم إلى الخصوص، أوليس تخصيصي لك بما تعرفت إليك من طرح قلبك وطرح ما بدا لك من العلوم من جهة قلبك إخراجاً لك من الكشف، أوليس الكشف أن تنفي عنك كل شيء وتشهدني بما أشهدتك، فلا يوحشك الموحش حينذاك" (النفري، 1985، ص265). وصيغة النداء "يا عبد" تعكس حال القرب في مقام المكاشفة وعين الجمع، مع الصيغة الإخبارية "أوقفني وقال لي". والارتقاء إلى الحضرة الإلهية تنتهي بالسالك إلى الوقفة، ويرى النفري أنه لا قيمة للمعرفة بدونها، فيتجاوز المتصوفة السابقين عليه الذين يرون في المعرفة أعلى مراحل السفر او العروج الروحي. ذلك أن هاجس النفري كان أبعد وأعلى من المعرفة، فهاجسه هو التواصل والقرب، سدرة منتهى الإرتقاء إلى الحضرة الإلهية. "وقال لي: العالم يخبر عن الأمر والنهي وفيما علمه، والعارف يخبر عن حقه وفيه معرفته، والواقف يخبر عني وفيَّ وقفته" (النفري،1985، ص.86) "وقال لي: إخباري للعارفين، ووجهي للواقفين" (النفري،1985، ص89)، ومن هنا كان تفرد وخصوصية خطاب النفري عن غيره من الصوفية، من حيث سيطرة هاجس القرب، وبنية الخطاب، وخصوصية اللغة. ففي خطاب الصوفية كانت الذات الصوفية في حال فنائها واستغراقها في التوحيد الشهودي والفناء بكل حمولتها العاطفية محوراً للخطاب، بينما تفرد النفري بتمثل خطاب من الله تجاه العبد في حال الفناء والانمحاق والخضوع، فنجد سلطة الخطاب تتركز في الذات العليا أي الحق تعالى تمثلت في ضمير المتكلم، فيما تعكس صيغة النداء "يا عبد" حال القرب في مقام الحضرة الإلهية "عين الجمع"، فيعبر خطاب النفري عن هاجس القرب التواصلي، والتجاوز للسوى وقلق المسافة.ولأن هاجس القرب والوصل يسيطر على النفري، كان الخطاب بصيغة المتكلم الحق تعالى. "وقال لي: وأنا أقرب إليك من رؤيتك ذلك هو البعد" (النفري،1985 ،ص46)، فالحق تعالى هو القريب البعيد بلا مسافة، والبعد والقرب من الحق تعالى، ليس بعد وقرب مسافة، وإنما هو بعد وقرب مرتبة ومحبة، وفي التجلي الشهودي يتحقق الصوفي بوحدانية الله، وشهود القلب، وأنوار القرب، وسمو المرتبة، فيعرف أن حاله ما

ISSN 2664-1682

قبل وصوله لهذه المرتبة العلوية الروحية، أي ما قبل وصوله للشهود والتجلي وتجاوز الغيرية والسوى، إنما كان هو حال "البعد"، وعرف حقيقة القرب مع الله تعالى بالشهود.والمسافة تظل قائمة بين الذات الإلهية، والذات الإنسانية، فالذات الإنسانية تبقى متصلة بالعالم من حولها. ولذلك يظهر حرص النفري في المواقف والمخاطبات على التجرد من كل شيء حتى المعرفة، لتكون المخاطبة في الوقفة صيغة أخرى لتحقيق القرب والتواصل مع الله تعالى، يرى فيها النفري حضوراً وجدانياً قلبياً مع الله تعالى، فلا امتزاج بين الذات الإلهية والبشرية، ولا اكتساب للصفات الإلهية وفي ذلك يقول النفري:-"وقال لي: ما أنا في شيء، ولا خالطتُ شيئاً، ولا حللتُ في شيء، ولا أنا من شيء، أنا أحد صمد وحجي، وحدي أظهرتُ ولا مُظهر إلا أنا" (النفري،1985 ،ص92). ففي حال الفناء يفنى السالك عن نفسه وعن السوى، ولا يبقى في قلبه إلا حضور الله، عبَّر عنها النفري بالوقفة، التي تعكس حال الإتصال والاتصال معاً عند النفري، وتعبيره ب"قال لي، أوقفني" تعكس انبثاق خطابه من داخل التربة القلبية، ومن خلال هذا النص تتوالد وتتشكل المعاني، حيث يجعل النفري من الله تعالى في نصوصه مصدراً لسلطة الخطاب، كما يجعل من السالك الصوفي متلقياً، ومن داخل هذا النسق الخطابي يأتي التواصل والتفاعل.

وتتجلى المواقف والمخاطبات من خلال ثنائية الجمل أو الوحدات في صيغة خطابية، الجمل الشرطية. "وقال لي: لو اجتمعت القلوب بكنه بصائرها المضيئة، ما بلغت حمل نعمتي" (النفري،1985 ،ص54)، وأيضا التقرير والطلب، "وقال لي: أَذهِب عنك وجد السوى، وما من السوى بالمجاهدة" (النفري، 1985 ، ص66)، كما ينفتح خطاب النفري على أفق للحقائق تتقابل فيه صفات الله تعالى "القادر، العظيم، الغافر"، مع صفات العبد "العاجز، الغافل، الجائر"، فتلتقي المفردات بتقابلها وتضادها في المعنى بالسياق النصي، لتخلق تفاعلاً عند المتلقي، ويأتي أسلوب النداء المتكرر "يا عبد" كصيغة تعكس الحميمية والتفاعل للعبد في حال الوقفة، وتحديد العلاقة ما بين المعبود الله القادر العليم، والعبد المفتقر العاجز. "يا عبد: ناجني على بعدك وقربك، واستعن بي على فتنتك ورشدك،

ISSN 2664-1682

يا عبد: أنا العزيز القادر وأنت الذليل العاجز، يا عبد: أنا العليم الغافر وأنت الغافل الجائر، يا عبد: أنا الغني القاهر وأنت الفقير الخاسر" (النفري،1985، ص98)، ففي أفق النص تتجلى المعاني في أن العبد لا نجاة له إلا بالمجاهدة الروحية والعبادة، وأنه يظل دائما في مساحة الافتقار والاحتياج إلى المعبود، والرضا بما يعطيه. وينطوي نص النفري على انفتاح لمعان جمالية ولغوية ورمزية لامتناهية في دلالاتها، عبر وحدات النص في صيغته الخطابية الطلبية، والتي تأتي كجواب لشرط، أو نداء من خلال أسلوب الأمر والنهي والاستفهام الذي يأتي محملاً بمعاني تتجاوز حدود الطلب فتتوالد المعاني والدلالات.

وهذه الصور الخطابية في نصوص النفري بما تتميز به من معطيات روحية تأملية تنفتح على التأويل، تأتي عند النفري كنمط جديد من الخطاب أو السرد تقوم على استذكار خطاب بينه وبين الله في مقام الشهود، حيث يتموضع فيها النفري في حال الشهود، أو يأتي كسارد من خلال تعبيره "أوقفني، وقال لي"، أيضا تأتي نصوص النفري كمعادل خطابي لتوق الصوفي في التحقق بالقرب والتواصل مع الله، حيث يتموضع العبد السالك في حال المتلقي، فتتجلى عبودية المؤمن، فالمؤمن لا يقف موقف الند مع الله تعالى، وتتفرد صيغة الخطاب عند النفري حيث تأتي بأسلوب تواصلي مع الله، لكنها تخلو من ردود أفعال المخاطَب دلالة التسليم والخضوع لخالقه، وتلقي الواردات والحقائق في مقام العبودية. وهذا الخطاب المتخيَل من النفري الذي غايته الموضوع، حيث يسند النفري الخطاب إلى الله عبر لغته المكثفة في صيغة التعظيم، ويكون النفري في موضع الاستشعار بالعبودية والإنمحاق أمام عظمة الله.ويمكن القول أن لغة النفري المتفردة في المواقف والمخاطبات هي لغة "مقام السر"، حيث تتوارى المعاني خلف حجب الرمزية والتكثيف، فهي ليست لغة البوح والتصريح، وتأتي هذه اللغة عبر صيغة خطابية، وأسلوب التقرير والطلب، والنفي والإثبات، في أفق ينفتح على الزمان والمكان، لتتجلى من مقام الكشف والتجليات، فتصبح الكلمة مجلى للمعاني المتخيلة. حيث تتفاعل الضمائر على امتداد

ISSN 2664-1682

النص، وينفتح فيه فعل الأمر والمضارع على ثنائيات السر والعلن، الوحدة والجمع، الخلوة والملاء، الفناء والبقاء، يعيشها الصوفي ما بين بسط وقبض، وجمع وفرق في سفره الروحي.

كما تأتي ثنائية الأضداد في البناء النصي للنفري لتحيلنا على الجلي والخفي، والكثرة والوحدة في العالم عبر الأفعال والضمائر التي تنفتح على الإستمرارية وطبيعة التجليات على قلب العبد في مقام الشهود، حيث لاثبات، بل ولادات متجددة. فنصوص النفري تعكس تجربة ذوقية شهودية تواصلية، تقوم على ثنائية الوصل والفصل، الاتصال والانفصال، الفناء والبقاء، وكأن النفري عبر نصوصه المنفتحة على التأويل بحمولتها الدلالية، ولغته الرمزية بخصوبتها وخصوصيتها، يحاول الإمساك بلحظة ممتدة في الزمن، لحظة التجلي الشهودية المنفلتة من اللغة والزمان، محاولاً رصدها عبر لغة لا تستوعب هذه اللحظة في اتساعها ونورانيتها.ويمكن القول أن نصوص النفري تتجلى فيها سمة بارزة هي ثنائيات الأضداد، وتعكس وعي النفري بتأسس العالم على الأضداد المتباينة، فمن منطلق سفره الروحي يبتغي العبور إلى ما وراء التضاد إلى العالم الأسمى، وتجاوز الأضداد هو خروج وتجاوز للعالم المبني على الأضداد، وتجاوز للسوى إلى الله تعالى. وجدلية الأضداد في خطاب النفري تعكس تجليات العلاقة بين الإنسان والعالم، وبين الله والإنسان، كما تعكس ثنائية الخالق والمخلوق، العابد والمعبود، الحق والخَلق. وسفر الصوفي الروحي في مقامات الحب ينطلق من تجاوز السوى أي العالم المحكوم بالأضداد، ومن هنا كانت كلمة "السوى" من التيمات \ المواضيع الجوهرية في خطاب النفري، بالإضافة إلى "الوقفة، المخاطبة، الرؤيا".فكل ماعدا الله عند الصوفي هو سوى وحجاب يبتغي تجاوزه، حتى يتحقق بالشهود ويخرج بقلبه إلى أحدية الحق تعالى، "وقال لي: أخرج من السوى تخرج من الحجاب" (النفري،1985 ،ص118)، فشرط الإرتقاء إلى الشهود في مقامات العروج وصولاً إلى الحضرة، هو الخروج عن السوى، فلا يكون السالك متحققاً بالعبودية الحق له تعالى، حتى يتجاوز التعلق وكل حضور للسوى في قلبه، ارتقاء نحو الوجود الحقيقي، الله وحده.وتحضر العناوين في المواقف والمخاطبات "موقف القرب، موقف العز، موقف الوقفة، موقف الرحمانية..." بمثابة عتبات

ISSN 2664-1682

نصية تأخذنا للكشف عن المعاني الكامنة في النص، فهي بمثابة مفتاح لتأويل النص الذي تتعالق معه، ولذلك فهي تسهم في البناء النصي والدلالي، حيث تنفتح هذه العتبات النصية علاقة مع النص لتنسج تداخلاً بين الداخل والخارج، وتتجاوز المسافة، فتحمل في مضمونها وحضورها بالتالي رمزية الوصل والمسافة وغياب الفصل أو القطيعة ما بين الظاهر والباطن، ودلالة أن الظاهر ما هو إلا تجل للباطن ،وأن سفر الصوفي هو تجل لتوقه القلبي إلى حضرة الله تعالى، وأن النص النفري ما هو إلا انعكاس لتجليات نورانية على قلبه في شهوده. حيث يجسد عبر خطابه سيرورة العبد عندما يكون في معية الله تعالى "وهو أقرب إليه من حبل الوريد"، فيعكس هذا القرب الذي يعيشه ويشعر به الصوفي حين يفنى عن السوي.ولاشك أن الاتجاه التداولي يتجلى واضحاً في نصوص النفري في المخاطبات والوقفة في الحضرة الإلهية، والحديث القدسي" لا يزال عبدي يتقرب إليّ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره.، فالنفري لا يشير مباشرة إلى نص الحديث، بل يحيلنا إلى تحولات الصوفي في شهوده، ويجعل الخطاب الإلهي مباشرة موجهاً إليه في مقام الحضرة والشهود، من خلال الوقفة التي جعلها أفقاً للتفاعل عبر الحوارية الخطابية. "وأنا إليك أنظر، لا بين بيني وبينك، أنا أقرب إليك من كل شيء، وأنا أقرب إليك منك " (النفري، 1985، ص248)، ويتجلى هنا أيضا المنحى التداولي لمعنى الآية "ونحن اقرب إليه من حبل الوريد/ق16"

فالمواقف والمخاطبات بانفتاحها على الدلالات هي بمثابة انعكاس لصور التجليات على قلب الصوفي، ولذلك كان التنوع والثراء الدلالي مرآة تعكس صور التجليات، وإذا كان قلب الصوفي يتسع بحسب الواردات، كذلك تتعدد الدلالة داخل النص النفري لتفضي إلى تأويلية تكشف الحجب عن معان متجددة. لقد جعل النفري من الرؤيا أفقاً لا متناهياً ينفتح على حضرة النور والتجليات، فمنح مفردة "الشهود، الكشف" المتداولة في النصوص الصوفية، طاقة نور متوهجة جعلتها متجددة في معانيها ودلالاتها، عبر الخيال الذي يحضر عند النفري كباعث للتوق الداخلي للصوفي، تعكس شوق الصوفي للإرتقاء في

ISSN 2664-1682

مقام الكشف والقرب، وتجاوز السوى إلى أفق أرحب تسكن إليه روحه. إن نصوص النفري بتفردها تأتي من عوالم الروح العالية، متسربلة بالنور في تجربة ذوقية تتأسس على المفارقة للسوى، ولكل المادي والمحسوس، ويجعل النفري من لغته تتماهى مع الرؤيا والخيال، ويمنحها طبيعة برزخية تستعصي على المألوف والقوالب الجاهزة، فهي لغة تنبثق من فيض التجليات على مرآة القلب. وكأن اللغة أيضا تحقق تحررها من الاعتيادي، كما يحقق الصوفي تحرره من السوى ليتجاوزه نحو مقامات الشهود. فيستحضر النفري عبر لغته الحضرة بتجليات الشهود فيها، ليجعلها تقول "مالاينقال" كما يشير النفري، فالنفري يكتب وهو خاضع لنور الكشف والتجليات، ولهذا كان الحرف ناره وخزانة أسراره كما يشير، فهو يعمل على استلهام مكنونات روحه من داخل أناه المسكونة بالحب إلى الله تعالى.

7. الخلاصة

- تُعَد الوقفة من نصوص النفري التي كتبها من داخل تجربته الروحية، ومن هنا كان ارتباطها باللحظة الصوفية الشهودية عند النفري، فتتجلى كجزء من التجربة الشهودية الذوقية التي تقوم على المفارقة للسوى، وتتداخل التجربة والكتابة، فتأتي نصوصه مترعة بفيض التجليات، وتتماهى مع ثراء وروحانية التجربة الصوفية، والشهود القلبي لأنوار التوحيد.ولاشك أن خطاب النفري بخصوصيته يبقى منفتحاً على التأويل والقراءة، فهو يتسم بالرمزية متجدد الدلالات، ولأن البناء النصي مرتبط بارتقاء وسفر روحي، جاءت النصوص بمثابة ومضات اعتمدت على التكثيف، تحمل في داخلها ضمنياً دعوة لإعادة قراءتها واستكشافها، فهو نص يتجاوز الزمان، نص واعد باللاوصول وغياب النهايات، لأنه متجدد الفيض في معانيه.
- تبقى اللغة عند النفري ذلك المحدود الذي لا يمكنه أن يستوعب لحظة الصوفي الشهودية اللامحدودة في اتساعها وسموها وروحانيتها، ولذلك تأتي لحظة النفري الشهودية عبر لغة لها خصوصيتها وكثافة حولتها، في مستويات للتعبير والدلالات تتماهى مع مقامات السفر الروحي للصوفي.كما تأتي نصوص النفري كانعكاس لإرادة

ISSN 2664-1682

الصوفي الحرة في أسمى تجلياتها، عبره سفره الروحي، ومن داخل تجربته الشهودية، فيأخذ الباحث إلى عمق التجربة الشهودية، والتي انبثق خطابه من منها، لذلك كانت التيمات الجوهرية هي" الوقفة، السوى، الرؤيا"، وتعتبر جوهر الوقفة وكذلك المخاطبات باعتبارها الوجه الآخر للوقفة.

قائمة المراجع

ابن منظور، جمال الدين (1997). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر للنشر.

التلمساني، عفيف الدين (2007). شرح مواقف النفري. بيروت: دار الكتب العلمية.

حنفي ، حسن (2009) *من الفناء إلى البقاء ،محاولة لإعادة بناء علم التصوف*. بيروت: دار المدار الإسلامي.

السخاوي، شمس الدين (1375هـ). *المقاصد الحسنة في بيان الأحاديث المشتهرة*. القاهرة: دار الأدب العربي.

الفيروزآبادي، مجدالدين (2005). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

النفري، محمد (1985). *المواقف والمخاطبات*. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

ISSN 2664-1682